

تصريحات بابا الفاتيكان إساءة مقصودة والرد يجب أن يكون على مستوى الحرب المعلنة على الإسلام

التحويلات، و«زلات لسان» بوش المتكررة حول «الحروب الصليبية»، و«الإسلام الفاشي»، كرسّت في السياسة الدولية «زلات اللسان» ضد العالم الإسلامي، وأباحت كذلك «زلات السلاح»، كما حدث في أكثر من مكان في العالم بعد حملات إعلامية واسعة (أسلحة الدمار الشامل في العراق..). وليست زلات اللسان أول التكريسات الأمريكية لعالم اغتالت قيمة العولمة الجديدة، ولن تكون اعتقالات غوانتانامو واجتياحات وتدمير المدن آخرها.. والآتي أعظم.

ردود الفعل

إثر تصريحات بابا الفاتيكان هب الشارع العربي والإسلامي في تظاهرات غطت معظم العواصم، وبدأت التظاهرات في مصر حيث شهدت باحة الجامع الأزهر تظاهرات حاشدة، وألقيت فيها كلمات لمختلف أحزاب المعارضة المصرية. وشهدت شوارع فلسطين واندونيسيا والمغرب العربي عدداً من التظاهرات.

كما دعا فضيلة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي إلى يوم «الغضب العاقل»، بعد صلاة الجمعة الواقع في ٢٢/٩/٢٠٠٦.

وكان القرضاوي قد رد على تصريحات البابا «أيدينا ممتدة وديننا يدعو إلى السلام وليس الحرب، وإلى الحب وليس الكراهية، وإلى التسامح وليس التعصب، وإلى التعارف على بعضنا البعض وليس التنافر. نحن ندين هذه التصريحات ونريد أن نعرف تفسيراً لها والهدف من ورائها. نحن ندعو البابا إلى الاعتذار للإسلامية لأنه أهان نبيها ودينها وشريعته دون مبرر».

وفي مصر، أعرب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، محمد مهدي عاكف، عن استنكاره واستهجانته لتصريحات البابا بشأن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم. ولاحقاً، رفضت الجماعة اعتبار أسف البابا كافياً، لأنه لم يعبر بصراحة عن الاعتذار.

مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز الشيخ قال: «هذا كله كذب.. الإسلام أبعد ما يكون عن الإرهاب ولم ينتشر إلا باقتناع الشعوب التي اطلعت على ما فيه من خير وعدل».

آية الله محمد حسين فضل الله، المرجع الشيعي

تخجل منها أوروبا عموماً وإسبانيا وإيطاليا خصوصاً.

وبسبب صفته القيادية، كان الأمر أكثر خطورة، حيث أن بابا الفاتيكان لم يأخذ مسافة من الاقتباس بحيث تجعله كقائد ديني بمنأى عن أبعاد هذا التصريح. حيث أن التحليل العلمي والنص الديني، يتخذ صفة أخرى إذا صدر عن القيادة الدينية، فمحاضرة الأستاذ الجامعي أو عظة الكاهن تختلف عن «موقف» القائد الديني الذي يتحمل مسؤولية الطائفة كلها. وهذا «كلام مسؤول» تترتب عليه أحداث وتطورات ومواقف تلزم أتباع الطائفة به، بل ويصعب الطائفة كلها.

فالكلام المذكور، قد يحدث في الدوائر الداخلية، وربما المحلية، غير أن «الكلام - الموقف» هنا، اتخذ صفة عليا دينياً وعالمية دنيوياً.

مع السياسة الأمريكية

عندما نحت رونالد ريغان في الثمانينيات مصطلح «إمبراطورية الشر» في حربه الباردة مع الاتحاد السوفياتي السابق، وجد دعماً ونصرة وتضامناً من بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني (البولندي الأصل)، وشكل معه جبهة قوية ضد الشيوعية في العالم، وسخر الفاتيكان قوته الروحية لتحشيد أوروبا في ذلك الاتجاه. غير أن البابا نفسه لم يرَ من الحكمة التحالف مع بوش الابن في «الحرب على الإرهاب»، خشية أن يختلط الأمر (وقد حدث فعلاً) بينها وبين الحرب على الإسلام.

غير أن هذه «الخشية» غير موجودة في قاموس البابا الجديد المتحمس لهذه الأفكار، رغم اختلاف المذاهب الدينية مع رئيس الولايات المتحدة. وعلى ما يبدو، فإن تماهي (ريغان - بولس) يوازيه اليوم تماهي (بوش - بينديكت).

عصر العولمة الاقتصادية والتجارية «فرخ» عصر انقسام ديني واثنى في العالم، انقسام تدعمه العولمة العسكرية جاء ليزيد الهوة بين العالمين الإسلامي والغربي. ويتجه اتساع هذه الهوة يوماً بعد يوم ومعركة بعد معركة (من ١١ أيلول/سبتمبر حتى اليوم).

خطط المحافظين الجدد تتحمل جزءاً من هذه

لم تنته العاصفة فصولاً بعد.. فتصريحات بابا الفاتيكان بينديكت السادس عشر بحق الإسلام ونبي البشرية محمد ﷺ، فاقت الحدود، حيث أنها صادرة عن قمة هرم المسيحية في العالم، وخلال محاضرة فكرية تثقيفية لا يمكن أن يكون قائلها قد زلّ لسانه فيها (كان يقرأ ولم يرتجل).

صحيح أن البابا قد اقتبس هذا الكلام عن إمبراطور بيزنطي، لكن الاقتباس جاء لتدعيم الرأي وليس لإنتكاره فهو ذكره وبنى عليه، ولو كان صحيحاً أن هذا الكلام لا يمثل رأيه الشخصي، لكان اقتبس من أقوال المنصفين للإسلام (توينبي، شو، لوبون، تولستوي، غوته وغيرهم)، أو كان ردّاً على المقولة التي اقتبسها.

أما أسفه بخصوص إساءة فهم المسلمين لكلامه، فإن الإساءة واضحة فاضحة، للإسلام عقيدة ونبياً وتاريخاً. وحين يكون الكلام صريحاً لا نسأل عن النيات..

أما ما قاله، فليس اعتذاراً؛ بل اتهام للمسلمين بعدم فهمهم كلامه، ولو كان صحيحاً أنه لا يمثل رأيه فليسحب كلامه من المحاضرة.

سياسة جديدة

إن أخشى ما يخشاه المراقبون أن تكون هذه بداية سياسة جديدة ينتهجها الفاتيكان بعد أن اطمأن إلى استقرار الرأي فيه، فكما احتاج جورج بوش فترة قبل الماضي والإعلان الصريح عن أفكاره الدينية والمحافظين الجدد، فإن هذا البابا احتاج إلى فترة لكي يوضح عن مكنون سياسته الجديدة.

ولعله من المفيد تذكر ما نقل عن هذا البابا منذ وصول المحافظين الجدد إلى السلطة في الولايات المتحدة إلى الحكم بخلفيتهم «الصهيونية المسيحية»، أو ما يوصف بالمسيحية التوراتية، أنه يرى في ذلك نموذجاً صالحاً لأوروبا. بما يعنيه ذلك من «صراع حضارات» ودخول الكنيسة على خط قيادة المجتمع الغربي والتدخل في سياساته، بدءاً من العلاقة مع الشرق (غير المشجعة تاريخياً) حتى استصدار صكوك غفران وتنصيب وخلع ملوك وزعماء.

وهذا أمر مستبعد التحقيق نظراً إلى أن آخر تحالفات الكنيسة السياسية في أوروبا سببت مجازر